تغربة بني هلال
الاسبـــاب ـ الآثـــار

م.م محمود محسن داود

Bani Helal Imigration Reasons and mounuments
By: M.M Mahmud Muhsin Dawood

It is necessary to show that most saying among those who believe in history , old and new eastern or western about Al-Hilalyah results of immigration to the west and the conflict that Al- Hilalyen represent the reasons of politics downfall which happened in the fifth centary (H) this does not reduce the importance of Al- Hilalyah movement. It was one of the important movement which raise Al-Arab in all its sides to places which don't reach them . The important result is about our historv in Africa.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسباب - الآثار

واجه المغرب الأدنى في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حركة غزو ، هذه الحركة حملت في طياتها الكثير من ألوان الدمار والخراب ، وقد عرفت هذه الحركة في التاريخ الإسلامي باسم الهجرة الهلالية ، أما القاعدة التي انطلقت منها جموع الهلاليين فهي في عهد المستنصر بالله الذي تولى الحكم بمصر في سنة ٤٣٧هـ [١] .

وكان لهذا الغزو ذا طابع خاص ، إذ انه لم يأخذ شكل جيش منظم يأتمر لقيادة موحدة ، تسير وفق خطة مرسومة ، وإنما جموع مخربة خرجت لتحقيق أهدافها في السلب والنهب ، وفي نفس الوقت أرادت السلطة الحاكمة في مصر تحقيق أهداف معينة لها وهو يتلخص في حكم بني زيري في القيروان فضلاً عن التخلص من هذه الجموع ذاتها إنها كانت مصدر إزعاج وقلق الحكم الفاطمي في مصر وقد نجح الغزو الهلالي في تحقيق هذه الأهداف ، وربما أصبح هذا النجاح محدوداً لو انه اقتصر على مجرد إسقاط دولة بني زيري ــ وهو أمر خطير إلا إن هذا الغزو أخذ أبعاداً متعددة شملت معظم بلاد المغرب يوم ذاك ، وقد عرفت هذه الهجرة في التأريخ باسم ((حركة بني هلال)) وقد كان لهذه الهجرة كما أوضحنا دور كبير جداً في وصول العرب وانتشارهم في بلاد المغرب والمناطق المجاورة حينها ، وعلى الرغم من إننا لانعرف أصل هذه التسمية نظراً لان الهجرة الهلالية كانت قد ضمت قبائل عدنانية هلالية وغير هلالية وقبائل قحطا نية ايضاً . إلا إن الواضح إن بني هلال كانوا قد ترأسوا زعامة كل هذه المجموعات المهاجرة [٢] . كما يعتقد إن قبائل بني هلال كانت أولى القبائل العربية التي دخلت المغرب في

---

(١) زامباور. معجم الأنساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة ١٩٥١) جـ ١ ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، (ت ٨٠٨ هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر .... دار الفكر ، بيروت ١٩٨١ ج ٦ ، ص ٣٦ .

ذلك الوقت [١] أما أهم هذه القبائل التي شملت الهجرة الهلالية فهي بنو هلال وبنو سليم ويرجع معظمهم إلى أصلين كبيرين هوازن بن منصور وسليم بن منصور . ومنصور هذا يرجعه النسابة العرب إلى قيس عيلان مضر [٢] .

((الدوافع الكامنة وراء هجرة بني هلال الى بلاد المغرب))

١. كان بنو هلال المستقرين في مصر سبباً لكثير من الاضطرابات والفتن وقد رأى الحكام الفاطميون ضرورة التخلص منهم وكانت الدولة الفاطمية في مصر تعاني من أزمات اقتصادية وصلت إلى حد المجاعة في القرن الرابع الهجري [٣] .

ويظهر إن الفاطميين حاولوا التخلص منهم دفعاً للاضطرابات التي يثيرونها وتخفيفاً للأزمة الاقتصادية التي تعانيها مصر وذلك عن طريق تشجيع هؤلاء بالهجرة الى المغرب .

٢. ان الأزمة الاقتصادية في مصر قد أثرت في القبائل الهلالية ودعتها إلى التفكير في البحث عن مناطق استقرار أفضل فاختارت الحضر ليكون منقذاً لها على حد قول ابن خلدون [٤] ولاسيما إن هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في (برقة) وهم بنو قرة [٥] .

٣. كانت الحالة السياسية في المغرب أبان منتصف القرن الخامس الهجري عاملاً مهماً في هجرة بني هلال ففي هذا الوقت تدهورت العلاقات بني آل زيري (من قبيلة صنهاجة) الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب بعد مغادرة الآخرين إلى

---

(١) المراكشي ، ابو العباس احمدبن محمد بن عذاري ، (ت بعد ٧١٢ هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر (بيروت ـــ ١٩٦٧)ج١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، (ت ٢٤٥ هـ) ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، فردينلن فسنتلد (غوتا ١٨٥٠م) ص ١٨ .

(٣) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت٨٤٥ هـ) ، اغاثة الامة في كشف الغمة ، مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٥٧) ص٢٦

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٥) الصيرفي ، علي بن محب ، الاشارة لمن نال الوزارة ، (القاهرة ١٩٢٤) ص ٤٢ .

مصر وبين السلطة الفاطمية في مصر وبمرور الزمن حاول آل زيري الاستقلال بحكم المغرب إلى إن تحقق لهم ذلك فعلياً عام ٤٤٣ هـ . ولما كان الفاطميون عاجزين عن مجابهة آل زيري عسكرياً بعد أزماتهم الاقتصادية التي أشرنا إليها ، فقد قرروا توجيه القبائل العربية البدوية الضخمة التي تسكن الحوض الشرقي من مصر إلى بلاد المغرب انتقاماً من آل زيري [١] ، فجاءت هجرة بني هلال إلى المغرب بموجب خطة وضعها اليازوردي وزير الحاكم الفاطمي المستنصر بالله بأن أصلح القبائل الهلالية المتصارعة وأغرى رؤسائها بالعطايا وأغدق على أفراد قبائلهم الهدايا [٢] . فاندفعت هذه القبائل عبر نهر النيل ونزلت منطقة برقة حيث المراعي الخصبة لحيواناتها ومن برقة استمرت قبائل بن هلال بالتدفق إلى أنحاء المغرب والصحراء . أما في المغرب الأدنى (أفريقيا) فقد اصطدمت القبائل الهلالية بالسلطة الزيرية ودارت بينهم معارك كثيرة نتيجتها سقوط القيروان عاصمة آل زيري على يد العرب كما تم لهم السيطرة على مدن أخرى مثل تونس وبونه وقسطنطينة ولعل النتيجة البارزة لسيطرة القبائل العربية على مدن المغرب الأدنى [٣] هي انقسام المملكة البربرية إلى إمارات صغيرة حكم الزيريون إحداها في المهدية [٤] . ويمكن القول إن الفوضى السياسية التي عمت المغرب بعد سقوط الحكم ألزيري يرجع إلى عدم قدرة الهلاليين على تأسيس أي حكومة ذات أهمية في المنطقة أما الحكومات التي أسسها هؤلاء العرب الهلالية مثل إمارة بني جامع في قابس وبني جبارة في سوسة وإمارة الورد اللخمي نزرت فلم تكن لها القابلية والقوة على إقامة دولة عربية قوية موحدة في بلاد المغرب لتضع حداً للفوضى

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٠ .

(٣) المراكشي ، البيان المغرب ، ج١ ، ص ٢٩٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

السياسية فيه . أما في المغرب الأوسط فقد انتشرت القبائل العربية الهلالية فيه مشتبكة بقبائل زناتة البربرية هناك ودارت بينهما حروب طاحنة كانت نتيجتها اندحار زناتة أمام الهلاليين[1]. أما النتيجة الأكثر أهمية من ذلك فهي سقوط الكيانات السياسية لزناتة وصنهاجة وانتشار الهلاليين في بلاد المغرب وهيمنتهم على أنحاء المغرب الأدنى والأوسط .

أما فيما يخص المغرب الأقصى فالذي يبدو من النصوص التي بين أيدينا إن العرب الهلالية لم يصلوا إلى المغرب إلا في القرن السادس الهجري وقد أدى الموحدون دوراً مهماً في ذلك حيث نقلوا أعداد كبيرة من القبائل الهلالية التي كانت مستقرة في المغربين الأدنى والأوسط إلى المغرب الأقصى محاولةً السيطرة منهم في حروبهم وتوسعاتهم في ألأندلس ثانيةً [2] .

أما مناطق الصحراء فقد شهدت هي الأخرى وصول مجموعات من القبائل العربية الهلالية ، لقد اندفع بنو سليم إلى صحراء فزان جنوبي برقة وطرابلس واستقروا في مراكز الاستقرار فيها بل إن الإدريسي في القرن السادس الهجري يشير إلى إن مناطق فزان كانت تحت نفوذ العرب المنتشرين فيها ويبدو إن منطقة فزان أصبحت قاعدة للانتشار العربي في الصحراء باتجاه الجنوب والغرب بفعل العوامل البشرية والجغرافية والتجارية فمنها تدفق العرب إلى مناطق السودان جنوباً وانتشروا حول بحيرة تشاد[3] إلى الصحراء غرباً . وأخيراً يمكن القول إن العرب الهلاليين الذين انتشروا في صحراء فزان بعد منتصف القرن الخامس الهجري أسهموا بصورة واضحة في تشكيل العنصر البشري في فزان من خلال استقرارهم وامتزاجهم مع سكان المنطقة من البربر (قبائل لمطه وهوارة) .

---

(١) الصيرفي ، الاشارة ، ص ١٣ .

(٢) محمد بن عبد العزيز ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ، تحقيق دي غوي ، دوزي،(امستردام ـــ ١٩٦٩)

(٣) الشيخلي ،صباح ابراهيم ، تطورالوجود العربي في صحارى فزان مابين القرن الاول والسادس الهجري، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد ٢٢ ، المجلد السادس (١٩٨٦) ص ٤١ ـــ ٤٣ .

كما نجد إن قبائل هلالية من بني زغبة تدفقت إلى الصحراء الواقعة جنوب المغرب الأوسط ((الجزائر حالياً)) واستقرت فيها أما الصحراء الغربية فقد وصلتها العرب الهلالية في نهاية القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر الميلادي وبداية القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده ، حيث استطاعت قبائل المعقل القحطانية بفروعها المختلفة الانتشار في المناطق الشمالية من هذه الصحراء واستقرت فيها وتكاثروا بنو المعقل في هذه المنطقة بمرور الزمن واندمجوا مع سكانها من بربر صنهاجة وأصبحت هذه الصحراء عربية بفضلهم (وبتقادم الزمن تدفق قسم منهم (أي المعقل) الى مناطق السودان الغربي جنوبا حيث نجد في القرن السادس الهجري و مابعده وجود مجموعات من قبائل بني حسان - إحدى فروع المعقل- في منطقة النيجر [١] .

وباستعراض أحداث الغزو الهلالي للمنطقة نجد انه قد ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتم إجمالها بما يلي :

أولا : الناحية السياسية :

إن المغرب الأدنى الذي كانت تجمعه وحدة واحدة ويخضع لحكم الزيريين ، مزقه العرب الهلاليون الى اقطاعات ومناطق تتحكم فيها القبائل الغازية بعد إن اقتسمت المناطق فيما بينها ، وهذا يعني انهيار الحكم الزيري للمنطقة ، وبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبداها المعز بن باديس ، إلا انه سقط نهائيا تحت ضربات الهلاليين .

وأصبح العرب يشكلون قوة عسكرية لها خطرها ، تسعى وراء مصالحها وأهدافها ، ومن ثم وجدنا القبائل العربية تتحالف مع أكثر من جهة تحقيقا لأطماعها ، فوجدناهم يقاتلون في صف تميم بن المعز بن باديس الذي خلف والده في حكم ما تبقى من الدولة الزيرية ، وجدناهم يحاربون ضد أحد الخارجين على تميم وهو حمد بن مليك وهذا بدوره استعان بالعرب الهلالية ضد تميم بن المعز ، يقول ابن الأثير ((في هذه السنة – سنة ٤٥٥ هـ - خالف حمد بن مليك ، صاحب مدينة صفاقس بأفريقية ، على الأمير تميم بن المعز بن باديس، فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر ، فسار إليه بعساكر ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ، ووصل حمو الى سلفطة ، والتقى الفريقان بها ،

---

(١) الشيخلي ، صباح ، تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق آسيا ، ج١ ص ٥٩ .

وكانت بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه ، وأخذتهم السيوف ، فقتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله ، وعاد تميم مظفراً منصوراً)) [١] .

وهكذا حاربت القبائل الهلالية بعضها البعض ، واعتقد إن مصالحها المادية هي التي كانت تحرك خطواتها .

وامتد تأثيرهم السياسي حتى وصل الى المغرب الأوسط ، ووجدنا أمراء بني حماد يدفعون خطرهم وأذاهم بإعطائهم نصف غلات البلاد وهو مقدار كبير، وهذا يعني أنهم كانوا يقتسمون ثروات البلاد ، يقول المراكشي ((وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن المنتصر ، فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من تمرها وبرها وغير ذلك ، فأقاموا على ذلك باقي أيامه ، وأيام ابنه الملقب بالعزيز ، وأيام يحيى)) [٢] ولاشك إن هذا الموقف من جانب بني حماد يعني عدم قدرتهم على صد هذه القبائل والوقوف ضدها .

حتى إذا قامت الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى سنة ٥٤١ هـ ، وجدنا عبد المؤمن بن علي ، خليفة الموحدين يخوض الكثير من المعارك ضد العرب الهلاليين في المغربين الأدنى والأوسط باعتبارهم يشكلون خطراً على ممتلكات دولة الموحدين التي امتدت حتى طرابلس شرقاً .

وكانت أولى هزائمهم أمامه حين توجه الى المغرب الأوسط ، وبعد استيلائه على بجاية سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م . دخل في معركة مع العرب انتهت بهزيمتهم ونقل نسائهم وأبنائهم الى مراكش [٣] .

وكان الصدام الثاني حين توجه الى افريقية ، وبعد استيلائه على المهدية دخل في معركة مع العرب انتهت بهزيمتهم سنة ٥٥٥ هـ ، ومن ثم نقل مجموعة كبيرة من النساء والأولاد الى العاصمة وعاملهم معاملة حسنة ، مما دفعت كثيرا من العرب الفارين الى اللحاق بأسرهم بالعاصمة [٤] ويبدو أن أعداد العرب التي رجع بها الخليفة عبد المؤمن كانت كبيرة ،حتى أن

---

(١) ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن ، (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٧٨) ج١٠ ص ٢٩ .

(٢) المراكشي ، البيان المغرب ، ص١٢٤ .

(٣) الميلي ، مبارك محمد ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، المطبعة الجزائرية ، (الجزائر ١٩٣٠) ج٢ ص ٢٤ .

(٤) البيذق ، ابو بكر علي الصنهاجي، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة ،(الرباط ١٩٧١) ص ١٢٠ .

ابن صاحب الصلاة عبر عن ذلك بقوله ((وقد استاق – أي الخليفة عبد المؤمن – في أتباعه من العرب من رياح وبني جشم وبني عدي من بني هلال وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى)) [١] وفي رواية أخرى انه نقل من كل قبيلة ألفا بعيالاتهم وأبنائهم[٢] .

وتبدو أهمية هذه الخطوة من جانب الخليفة عبد المؤمن بن علي في إخضاع العرب الهلاليين وتهجيرهم الى المغرب الأقصى وانه اتخذهم كوسيلة ضغط على قبائل البربر في تعيين ابنه محمداً ولياً للعهد ، فالخليفة عبد المؤمن لم تكن تسنده عصبية قبلية لحكمه لتلك الإمبراطورية الواسعة ، لذا وجدناه بعد إن وقع الاختيار عليه يستدعي قبيلة كوميه التي ينتمي إليها للمجيء إلى العاصمة مراكش ليستعين بهم ويعتمد عليهم . وفي نفس الوقت وجد الخليفة عبد المؤمن في عنصر العرب الهلالية قوة مؤثرة يمكنه الاستعانة بها في تحقيق أهدافه والتأثير في الموحدين لتعيين ابنه محمداً ولياً للعهد .

وقد سبق هذه الخطوة محاولات الخليفة عقد صلة مودة بين ابنه محمد المرشح لولاية العهد وبين زعماء القبائل العربية ، حين قام محمد بإرسال الخطابات إليهم يخبرهم فيها إن من أسر من أبنائهم ونسائهم تحت الرعاية والصون ، حتى إذا تثبت زعماء العرب من ذلك شعروا بالمودة والتقدير لأبن الخليفة [٣] يقول الثويري (وأمر عبد المؤمن ابنه محمد بمكاتبة العرب ويعلمهم ان نسائهم وأولادهم تحت الاحتياط والحفظ والصيانة وأمرهم أن يحضروا لتسليمهم إليهم ، ولما وصل كتابه إليهم سارعوا إلى المسير إلى مراكش فأعطاهم عبد المؤمن نسائهم وأولادهم وأحسن إليهم ووصلهم بالأموال الجزيلة فأسر قلوبهم بذلك [٤] .

ثم اتبع ذلك بأن دس لزعماء العرب من يأمرهم بمطالبة الخليفة بتولية ابنه محمد ولياً للعهد، ومحاولة الخليفة الامتناع إكراما لأبي حفص عمر ولكنه رضخ في النهاية وخاصةً بعد إن خلع أبو حفص نفسه من ولاية العهد [٥] . حتى إذا تم تولية ابنه محمد وذلك بفعل مطالبة العرب ومساندتهم ، أرسل الخليفة رسائل إلى أنحاء دولته يعلن فيها الخطوات التي تمت

---

(١) السيد ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، (القاهرة ١٩٦٦) ص ٣٥٤ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد (ت ٥٩٤ هـ) ، المن بالامامة تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ، دار الاندلس (بيروت ١٩٦٤) ص ١٤٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٦ .

(٤) النويري ، شهاب الدين احمد ، (ت ٧٣٣ هـ) ، نهاية الارب وفنون الادب ، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة ١٩٨٣) المجلد الثاني ، ج٢٢ ص ٩٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

ومبايعة ابنه بولاية العهد وقد جاء فيها وكانت هذه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية والصنهاجية ومن معها من حاضرة وبادية من أهل إقليمها وذوي ألبابها وحلومها يشيرون إلى ذلك انتزاحهم ويعلنون انه غاية اقتراحهم ومادة نفوسهم وأرواحهم ، ولم تزل مخاطباتهم في ذلك تتردد حيناً بعد حين ورغباتهم تتأكد بما كان عندهم فيه من ثلج ويقين ، فلما اتفق بحمد الله وصولهم في هذه الوفادة ..... صرحوا لأول لقائهم بما أضمروه وأبدوا سرهم المكنون وأظهروه وأعلموا أن محمداً وفقه الله هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيروه ورغبوا في تقديمه على بلادهم وإنفاذه معهم على قصده في توليتهم ومرادهم [١] .

وقد ترتب على ذلك الإجراء إن صارت خلافة الموحدين محصورةً في أبناء عبد المؤمن يتوارثونها فيما بينهم وكان ذلك بمساندة العرب الهلالية وتعضيدهم .

وأستمر خلفاء الموحدين يوجهون جهدهم ونشاطهم العسكري لإخضاع العرب الهلالية ونقلهم إلى المغرب الأقصى للإقامة في العاصمة وبذلك يتيسر مراقبتهم ، ففي سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨ م تم ترحيل جماعة من عرب رياح إلى مراكش وذلك بعد انهزامهم أمام الموحدين في قفصه [٢] .

حتى إذا أقبلت سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م اندلعت نار الثورة بأفريقية وخاصةً في مدينة قفصه وتزعم الثورة بنو غانية ، وانضمت إليهم القبائل جشم ورياح والأثبج مما اضطر معه الخليفة المنصور ألموحدي إلى تجريد حملة كبيرة وخرج على رأسها واخضع القبائل الثائرة، ونقل الكثير من العرب إلى المغرب الأقصى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م [٣] .

فلما تولى الناصر ألموحدي ، صرف جزءاً كبيراً من طاقته وجهده في فترة زمنية استغرقت ست سنوات منذ سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م إلى سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م في سيل القضاء على بني غانية في افريقية ومن انضم إليهم من قبائل بني هلال وقد نجح في ذلك [٤].

وهكذا شغل الموحدون بالمعارك ضد العرب الهلالية منذ أن تولى عبد المؤمن الخلافة حتى الناصر ، وترجع أهمية هذا النشاط العسكري في إقبال كثير من القبائل الهلالية للإقامة بالمغرب الأقصى ومشاركتها في الأحداث السياسية والعسكرية بالمنطقة .

---

(١) عبد العزيزسالم ، المغرب الكبير ، ص٣٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن ابي زرع ،علي بن محمد ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاي، دار المنصور للطباعة ، (الرباط ١٩٧٢) ج٢ ص ١٥٧.

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٤ ص ١٩٤ .

ومن ناحية أخرى فقد وجدناهم ينخرطون في سلك الجندية ويشاركون جنود الموحدين حملاتهم المتكررة في الأندلس وذلك لصد هجمات الفرنج ، فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن استدعاهم وحثهم على المشاركة في المعركة المرتقبة سنة ٥٦٦ هـ وقد لبوا نداء الخليفة [١] كذلك اشترط العرب على أنفسهم في سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م الاشتراك في الحملة الكبرى التي أعدها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمائة وثلاثين ألف فارس وراجل [٢] .

وحضر وفد كبير منهم في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م من عرب سليم ورياح ووجوه أنجادهم للانضمام إلى جنود الخليفة المنصور ألموحدي [٣] .

حتى إذا كثرت العرب الهلالية بالمغرب الأقصى ، وأصاب الضعف والتخاذل ولاة الأمر من الموحدين ، تدخل العرب في شؤون الدولة وذلك منذ وفاة المستنصر سنة ٦٢٠ هـ / ١٣١٢م وقاموا بعزل وتولية بعض ملوك الموحدين ، وكانوا بنو جابر والخلط أكثرهم كيداً للملوك .

ثانياً. الناحية الاقتصادية :

أما تأثير العرب الهلالية في أقاليم المغرب المختلفة ، فمنذ أن وطئت أقدامهم أرض المغرب الأدنى ، لاحظنا الآثار المدمرة التي حلت بالمنطقة نتيجة لتخريب المدن وحرق المزارع في هجمات متلاحقة أتلفت التقدم العمراني الذي كانت تنعم به إفريقية ، يقول ابن خلدون ((واضطرب أمر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها)) [٤] .

وظلوا فترة يعيشون على السلب والنهب والإغارة على القرى والمدن حتى أخضع الموحدون معظم أقاليم المغرب المختلفة ، واخضعوا هذه القبائل ، ونقلوا الكثير من أفرادهم إلى المغرب الأقصى ، بدأوا يجنحون إلى الاستقرار واشتغلوا بالرعي وهي المهنة التي نشأوا عليها والتي تتفق مع طبيعتهم البدوية ، وبمرور الزمن اتجهوا إلى فلاحة الأرض وزراعتها ، وأثمر ذلك إن أخصب الأراضي الزراعية على المحيط الأطلسي هي الآن بأيدي أعقابهم [٥].

ونتيجة استقرارهم واشتغالهم بالرعي والزراعة ، فرضت عليهم التزامات اتجاه الدولة ، ومن هذه الالتزامات دفع الضرائب باعتبارهم كغيرهم من المواطنين مع المساهمة بعدد من أبنائهم في الحملات العسكرية التي يقوم بها ولاة الأمر ، يقول ابن خلدون ((وكان ـــــ أي

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٦٠ ، ٤١١ ، ٤١٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٤ ص ١٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ ،

(٤) العبر الجزء السادس ، ص ١٦ .

(٥) حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، (الدار البيضاء ١٩٦٥) ص ٢٨٣ .

بعض القبائل العربية ـــ موطنهم بسيط تامسا ، وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية)) [١].

ومن ناحية أخرى فإنهم كانوا يتمتعون بما يتمتع به غيرهم من جند الموحدين نتيجة انضمامهم لجيش الموحدين ، فقد أقطعهم ولاة الأمر بعض الأراضي ، وذلك حتى يهيئوا لهم فرصة الاستقرار وعدم التحرك بالفتنة ، كما كان الخلفاء ينفقون عليهم النفقات الواسعة بالإضافة إلى ذلك كانت توزع عليهم الأموال في الحملات العسكرية المختلفة ، لحين أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بتمييز الجند سنة ٥٦٦ هـ / ١٤٧٠ م أمر للعرب ورؤسائهم بالأموال والكساء والسلاح يقول ابن صاحب الصلاة ، وأمر ـــ أي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ـــ للعرب ببركتهم فخرج للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ولغير الكامل خمسة عشر ديناراً والرجل سبعة دنانير ، واخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم خمسون ديناراً ، ولكل رئيس منهم على قبيلة مائة دينار ، وكسا جميعهم بالقباطي والقمص والغفاير والعمائم وأعطاهم السيوف المحلاة والدروع السابغات والبيض والقنا من الرماح الطوال وأمر لهم بثلاثة آلاف فرس قسموها على قبائلهم وأتباعهم ورجالهم [٢] ، ويلاحظ من أقوال ابن صاحب الصلاة في هذه المناسبة ان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد فصل جند العرب على جند الموحدين في العطاء ، فبينما أعطى للفارس الكامل من الموحدين عشرة دنانير ، أعطى نظيره من العرب خمسة وعشرون ديناراً ، ولغير الكامل من الموحدين ثمانية دنانير ، أعطى نظيره سبعة دنانير ، وهذا يشير الى على حرص الموحدين على استمالة العرب وكسب ودهم .

ثالثا. <u>النواحي الاجتماعية :</u>

من الآثار البارزة التي أحدثها الغزو الهلالي للمغرب ، إقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بسكان البلاد ، وترتب على ذلك أن تعرب قسم من سكان البلاد نتيجة للتزاوج وصلات القرابة التي تمت على مر الأيام وامتزاج السلالتين بالدماء العربية [٣] فإذا ما أخذنا الرواية التي تقدر عدد العرب الداخلين إلى الشمال الأفريقي ما يقرب من ربع مليون عربي وان هذا العدد أقام بالبلاد لتبين لنا مدى الأثر الجنسي على السكان الأصليين للبلاد ، وقد بلغ المد العربي حداً إن وصلت قبائلهم إلى سواحل المحيط الأطلسي وامتزجت بقبائل المصامدة وصنهاجة جنوباً ، ونتج عن ذلك أن بعض القبائل العربية تعربت كلية كقبيلة دكالة [٤] .

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ٣١ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٤٣٧ .

(٣) حركات ، المغرب ص ٣٠٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٠٧ .

وقد ساعد على هذا الاختلاط والامتزاج التشابه بين حياة العرب الهلالية وبعض قبائل البربر وخاصة التي تمتهن الرعي منه بالإضافة إلى اتفاقهم في الصفات الخلقية كالشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم وحفظ العهد وحسن الجوار وغيرذلك من الصفات [١] .

يضاف الى التعريب الجنسي ، أيضاً التعريب اللغوي نتيجة للاختلاط والمعايشة اليومية ، ومن ثم تعلم البربر وسكان البلاد الأصليين لغة الوافدين وهي اللغة العربية . وانتشرت في أجزاء كبيرة من البلاد وبذلك ساعد العرب على نشر الثقافة العربية بالمنطقة بعد ان تعلم كثير من أهل البلاد اللغة العربية على يد هؤلاء الأعراب [٢] .

وهكذا استطاع العرب الهلاليون أن يلعبوا دوراً خطيراً في أقاليم المغرب منذ ان وطئت أقدامهم أرض المغرب في النصف الأول من الفرن الخامس الهجري ، وظلوا منذ هذه الفترة يؤثرون في تاريخ المنطقة ، وظهرت بصماتهم واضحةً في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

الخاتمة

واخيراً لابد من الأشارة الى كثرة الحديث بين المهتمين بالتاريخ القدامى والمحدثين ، الشرقيين والغربيين عن نتائج الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب وتصارع الافكار حول كون الهلاليين العرب يمثلون احد اسباب الانهيار السياسي والاقتصادي الذي حل في منتصف القرن الخامس الهجري .

لكن هذا لايقلل من كون الحركة الهلالية كانت من اهم القنوات التي حملت العروبة بكل جوانبها الى اماكن لم تصلها العرب بهذا الشكل الواسع ويمكن القول ان النتيجة المهمة الاخرى هي فيما يخص تاريخنا لأفريقيا .

---

(١) الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج٢ ص ١٢٥ .

(٢) حركات ، المغرب عبر التاريخ، ص٣٤٩.

قائمــة المصــادر والمــراجع

(١) ابن ابي زرع ،علي بن محمد ،الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبــار ملــوك المغــرب ومدينة فاي ، دار المنصور للطباعة ، (الرباط ١٩٧٢).

(٢) ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن ، (ت ٦٣٠ هـــ) ، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلميــة (بيروت ١٩٧٨)

(٣) ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، (ت ٢٤٥ هــ) ، مختلف القبائل ومؤتلفهــا ، فــرديتلن فســنتلد (غوتا ١٨٥٠م) .

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، (ت ٨٠٨ هـــ) ، العبــر وديــوان المبتــدأ والخبر .... دار الفكر ، بيروت ١٩٨١

(٥) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد (ت ٥٩٤ هــ) ، المن بالامامة تحقيق الدكتور عبــد الهادي التازي ، دار الاندلس (بيروت ١٩٦٤) .

(٦) البيذق ، ابو بكر علي الصنهاجي، اخبار المهدي بن تــومرت وابتــداء دولــة الموحــدين ، دار المنصور للطباعة ،(الرباط ١٩٧١) .

(٧) السيد ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، (القاهرة ١٩٦٦).

(٨)الشيخلي ، صباح ، تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق آسيا ،

(٩) الشيخلي ،صباح ابراهيم ، تطورالوجود العربي في صحارى فزان مابين القرن الاول والســادس الهجري، المجلةالعربية للعلوم الانسانية ، العدد ٢٢ ، المجلد السادس (١٩٨٦).

(١٠) الصيرفي ، علي بن محب ، الاشارة لمن نال الوزارة ، (القاهرة ١٩٢٤).

(١١) المراكشي ، ابو العباس احمدبن محمد بن عذاري ، (ت بعد ٧١٢ هــ) ، البيان المغرب فــي اخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر (بيروت ـــ ١٩٦٧).

(١٢) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت٨٤٥ هــ) ، اغاثــة الامــة فــي كشــف الغمــة ، مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٥٧) .

(١٣) الميلــي ، مبــارك محمــد ، تــاريخ الجزائــر القــديم والحــديث ، المطبعــة الجزائريــة ، (الجزائر١٩٣٠).

(١٤) النويري ، شهاب الدين احمد ، (ت ٧٣٣ هـــ) ، نهاية الارب وفنــون الادب ، المجلــس الاعلى للثقافة ، (القاهرة ١٩٨٣) .

(١٥) حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، (الدار البيضاء ١٩٦٥) .

(١٦) زامباور. معجــم الأنســاب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، مطبعة جامعة فــؤاد الأول (القاهرة ١٩٥١).

(١٧) محمد بن عبد العزيز ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ، تحقيق دي غــوي ، دوزي ،(امستردام ـــ ١٩٦٩).